فكـــــر التكفيـــــر

- المجتمعات الحالية جاهلية .. ولا وسط بين الجاهلية والإسلام .
- لا يجوز العمل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا فى مجتمع إسلامى .
- التاريخ الإسلامى والآيات القرآنية تبرر اغتيال المسئولين وتدمير ممتلكاتهم .

فكـــــر التكفيـــــر

بعد التحقيق مع المتهمين قدمتهم نيابة أمن الدولة العليا للمحاكمة فى القضية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥ أمن الدولة العليا ووصفت السبعة الأوائل بأنهم زعماء التنظيم ، ووجهت إليهم تهمة محاولة قلب نظام الحكم بالقوة كما قدمت ٦٦ آخرين بتهمة المحاولة ، ١٢٢ متهما بتهمة الاتفاق الجنائى .

وقد وجهت نيابة أمن الدولة العليا للمجموعة الأولى تهمة المحاولة .

" إذ أنهم فى الفترة من ١٩٥٩ حتى آخر سنة ١٩٦٥ حاولوا بالقوة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها ، بأن ألفوا من بينهم تجمعا حركيا، وتنظيما سريا مسلحا لحزب الإخوان المسلمين يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة باغتيال السيد رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم فى البلاد ، وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة ، وتزودوا فى سبيل ذلك بالمال اللازم ، وأحرزوا مفرقعات وأسلحة وذخائر ، وقاموا بتدريب أعضاء التنظيم على استعمال تلك الأسلحة والمفرقعات ، وحددوا أشخاص المسئولين الذين سيجرى اغتيالهم ، وعاينوا محطات الكهرباء والمنشآت العامة التى سينسفونها ، ورسموا طريقة تنفيذ ذلك ، وتهيأوا للتنفيذ الفعلى، وعينوا الأفراد الذين سيقومون به وقد حال ضبطهم دون إتمام مؤامرتهم".

وبالنسبة للمجموعة الثانية من المتهمين فقد وجهت إليهم تهمة الاتفاق الجنائى .

" إذ أنهم اشتركوا فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب جريمة محاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها بالقوة ، وهى الجناية المنصوص عليها فى المادة ٨٧ من قانون العقوبات ووقوع هذه الجناية نتيجة محتملة لهذا الاتفاق " .

وأظهرت التحقيقات أن التنظيم أعد لأعضائه برنامجا دراسيا اقتصر على مجموعة معينة من الكتب روعى فيها أن تكون جميعا متفقة مع فكر قائد التنظيم ، ومؤدية فى النهاية إلى تركيز المعانى والأفكار التى يعتنقها ، وقد اقتصر هذا البرنامج على الآتى :-

١- المنشورات التى كان يرسلها سيد قطب من السجن إلى التنظيم والتى كانت تتضمن أفكاره فى المجتمع المسلم والأمة المؤمنة ، والجاهلية وجماعة المسلمين والإيمان والكفر .

٢- المنشورات التى كانت تعدها قيادة التنظيم والتى كانت تتضمن التحليل السياسى للأوضاع الداخلية ، والهجوم على هذه الأوضاع واتهام الثورة وقادتها مرة بأنهم عملاء لأمريكا ، وأخرى بالاتجاه إلى الشيوعية .

٣- مؤلفات سيد قطب وأهمها الطبعة الأخيرة من كتاب " فى ظلال القرآن " هذا الدين ، المستقبل لهذا الدين ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، مقومات التصور الإسلامى وخصائصه وأخيرا كتاب " معالم فى الطريق " كتب محمد قطب وأهمها " جاهلية القرن العشرين " .

٤- مؤلفات أبو الأعلى المودودى ، وقد كانت تتجه من الناحية الفكرية فى نفس اتجاه قائد التنظيم سيد قطب وأهمها الدين القيم ، المصطلحات الأربعة، الإسلام والجاهلية ، الجهاد .

ويلاحظ أن هذه المؤلفات جميعها كانت بجانب تركيزها على الفكر المنحرف للمؤلف كانت تنمى السمع والطاعة ، وعدم المناقشة ، والتسليم بأن ما فيها هو الإسلام وغير ذلك ثقافة جاهلية .

ولتمويل التنظيم تمت الاتصالات .

١- عن طريق بعض الطيارين من أعضاء التنظيم بشركة الطيران العربية ، اتصل على عشماوى ببعض أفراد الجماعة المنحلة من المصريين المقيمين بجدة والخرطوم وتبادل معهم الرسائل عن التنظيم وطلب إمداده بالمال والسلاح .

٢- سافر عبد الفتاح إسماعيل إلى السعودية واتصل هناك بسعيد رمضان ومصطفى العالم وعشماوى سليمان ، واتفقوا جميعا على ضرورة

مناهضة الأوضاع بالجمهورية العربية المتحدة ، ووعدوا عبد الفتاح إسماعيل بمده بالمال والسلاح .

٣- سافر على عشماوى إلى السعودية سنة ١٩٦٤ حيث اتصل بمصطفى العالم وعشماوى سليمان وطلب منهما مد التنظيم بالأسلحة لتعذر الحصول عليها من مصر ، وقد اتفقا معه على إرسالها عن طريق السودان .

٤- بناء على تكليف من زينب الغزالى وعبد الفتاح إسماعيل قام صبرى عرفه عضو قيادة التنظيم - فيما بعد - والذى كان يعمل مدرسا بالسعودية بالاتصال بالهاربين بالسعودية وكان يقوم بمراسلة عوض عبدالعال عوض حيث يقوم الأخير بإرسال الخطابات إلى عبد الفتاح إسماعيل حتى لا يكون هناك تراسل مباشر بين صبرى عرفة وعبدالفتاح إسماعيل درءا للشبهة . وقد ذكر عوض عبد العال عوض أنه فهم من الخطابات أن زينب الغزالى كانت تكلف صبرى عرفة بالقيام بمهام لحساب التنظيم بالسعودية ، وأن صبرى عرفة ذكر فى أحد الخطابات عبارة رمزية مفادها أن نقودا أرسلت من السعودية للتنظيم بمصر وقد حصل عبد الفتاح إسماعيل على هذا الخطاب واحتفظ به .

٥- كلفت زينب الغزالى فتحى رفاعى المدرس بالجزائر بالاتصال بأحد الألمان المسلمين ويدعى " أمين " ليتصل بسعيد رمضان فى ألمانيا ويبلغه بحل الحكومة لجمعية السيدات المسلمات التى كانت ترأسها .

٦- سنة ١٩٦٢ كلف عبد المجيد الشاذلى ومجدى متولى يوسف ندا المقيم بليبيا بالاتصال بعشماوى سليمان بالسعودية وبآخرين من أعضاء الجماعة المنحلة المقيمين بالخارج لمد التنظيم بالأموال والأسلحة اللازمة لاستمرار نشاطه على أن يرسلها بالحبر السرى وقد تم الاتصال ، وأبلغهما أنهم أبدوا استعدادهم لتمويل التنظيم .

٧- فى أوائل عام ١٩٦٣ وصل للتنظيم من الهاربين مبلغ أربعة آلاف جنيه عن طريق بيروت بإخفائها فى علب حلوى وبعمليات خاصة غير قانونية وقد سلمت لزينب الغزالى التى احتفظت بها لدى حسن الهضيبى لحساب التنظيم وقد استردتها على ثلاث دفعات .

٨- كلفت زينب الغزالى محمود شفيق إبراهيم الجميعى أثناء تأدية فريضة الحج بمقابلة مصطفى العالم ، وينقل رسالة منها إليه وإلى سعيد رمضان، وقد تقابل مع مصطفى العالم وسلمه رسالة لتوصيلها إلى زينب الغزالى ردا على رسالتها ، فسلمها بدوره إلى عبد الفتاح إسماعيل ليقوم بتوصيلها إليها ، وكانت هذه الرسالة تتعلق بالإسراع فى القيام بعمل ضد نظام الحكم بالجمهورية العربية المتحدة .

٩- وتنسيقا لجهود النشاط السرى وتدعيما لإمكانيات التنظيم المالية والعسكرية اتصل على عشماوى عضو مجلس قيادة التنظيم برئيس الإخوان السودانيين بالجمهورية العربية المتحدة للاتفاق على نقل شحنة من الأسلحة من السودان لمصر عن طريق دراو . كما اتصل على عشماوى ومبارك عبد العظيم بعبد الرحمن جبريل بارود رئيس تنظيم الإخوان الفلسطينيين بالقاهرة ، كما اتصل عبد الرحمن بارود بهانى بسيسو رئيس تنظيم الإخوان الفلسطينيين بالبلاد العربية بشأن مد التنظيم بالمال اللازم وقد أمد الأول التنظيم بألف جنية ، كما أمد الثانى التنظيم بألف أخرى .

وفى اتصال آخر أبلغ الهاربون بالسعودية قادة التنظيم أنهم بصدد إرسال عشرين ألف جنية عن طريق بيروت .

١٠- وبالإضافة إلى ما سبق فقد كانت تجمع من أعضاء التنظيم إشتراكات شهرية تصل إلى ٥ ٪ من رواتبهم وإيراداتهم الشهرية هذا بجانب التبرعات التى يتبرع بها أعضاء التنظيم زيادة عن الإشتراكات ، يضاف إليها التبرعات التى كان يحصل عليها التنظيم لمساعدة أسر المسجونين ثم تستغل فى أغراض التنظيم غير المشروعة .

* * *

وقام تنظيم ٦٥ على الأفكار التى رددها سيد قطب فى منشوراته وكتبه وأحاديثه، ولقد استطعت أن أجمع بعض هذه الأفكار وسأوجزها فيما يلى:-

أولا : المجتمعات المعاصرة

يرى سيد قطب أن جميع المجتمعات الحالية ، مجتمعات جاهلية ، لأنها رفضت منهج الله وأثبتت منهجا واتبعت منهجا غيره " من مناهج البشر " ويقول أن الجاهلية الحديثة أشد عتوا وضلالة من جاهلية مكة لأنها تقوم على أسس علمية خادعة تستطيع أن تبرر ضلالها ويقول فى كتابه معالم فى الطريق " .. أن العالم اليوم فى جاهليته كالجاهلية التى عاصرها الإسلام أو أظلم ... إن كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ، شرائعهم وقوانينهم ، حتى الكثير مما يحسبه الناس ثقافة إسلامية ، وفلسفة إسلامية ، وتفكيرا إسلاميا ، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية . "

" إن الجاهلية ليست فترة تاريخية سبقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنها حالة تتكرر كلما بعد الناس من منهج الله واتبعوا الطواغيت ، فحكام العالم بوصفهم الراهن كفار مستدلا بالآية الكريمة " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " . إن المحكومين ممن ينتسبون إلى الإسلام تحت حكم الطاغوت قد وصف الله إيمانهم بأنه إثم بدليل الآية " ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا " .

" وكثيرا ما يؤكد " .. أنه لا وسط هناك بين الجاهلية والإسلام ، لأن الإسلام له وجه واحد لا تتعدد صوره ، فإما إسلام وإما جاهلية ، كفر أو إيمان ، حق أو باطل ، فلا ينبغى أن تكون هناك أنصاف حلول مع الجاهلية الحديثة ، ولا التقاء معها فى منتصف الطريق . والعالم أجمع فى وضعه الراهن ليس إلا دار حرب بالنسبة للمسلم لأن دار السلام هى التى تنفذ شريعة الإسلام ، وأن الحرب هى التى لا تنفذها بغض النظر من كون غالبية سكانها من المسلمين أو من غيرهم "

" ويرى أن الملايين الغفيرة التى تنتسب إلى الإسلام وتنطق بالشهادة أنهم من سلالة المسلمين فقط ، ويسكنون أرضا كان سكانها يوما ما

مسلمين ، وهم الآن بعد أن غيروا وبدلوا ليسوا جديرين بهذا الوصف – وصف المسلمين – وأن الشهادة بأن لا إله إلا الله تظل إدعاء فقط حتى يصدقه الأسلوب العملى أو يكذبه ، والشهادة بذلك قولية وعملية ، قولية يتلفظ بها كثير من الناس ، وعملية لا يؤديها على وجهها اليوم أحد .

ثانيا – المرحلية :

يؤمن سيد قطب بالمرحلية فى الدعوة ويقرر " أن واجب الصفوة أن تلتزم فى هذه المرحلة بالالتزام برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكه خلال ثلاثة عشر عاما يدعو فيها إلى لا إله إلا الله ولا شئ غير ذلك " ، وفى هذه المرحلة، مرحلة العهد المكى يرى "انه من العبث الإشتغال بالمسائل التشريعية ، وأن من يحاول الإشتغال بهذه المسائل كمن يبذر بذورا فى الهواء، ولا يمكن إخضاع المجتمع الجاهلى لحكم الله ؟! "ويرى" أنه حين تأتى مرحلة الزمن المدنى تكون هى المجال الطبيعى للاهتمام بالجانب التشريعى الذى يأتى وليدا للممارسة والتجربة والخطأ " .

ثالثا – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

"يرى أن واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يجوز العمل به إلا فى مجتمع إسلامى يتحاكم إلى شرع الله حتى يقوم رئيس الدولة وأجهزة الأمن بحماية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما الآن فمجتمعنا غير إسلامى فواجب الصفوة أن تقوم بتفهيم الناس من جديد معنى لا إله إلا الله، وتنهاهم فى نفس الوقت عن مزاولة المنكر الأكبر أو إقرار أحد عليه ، وهو اغتصاب ألوهية الله فى الأرض بممارستهم بين التشريعات والمناهج المختلفة .

رابعا – الجهاد والعمل :

يرى سيد قطب " إسقاط الجهاد فى هذه المجتمعات القائمة التى تزعم أنها مسلمة لأنه وقوف مع الطواغيت وولاء لسلطان غير الله واستبدال

طاغوت بطاغوت فرعونيا كان أو فارسيا أو غربيا ... ولا يلزم الإنسان إلا الدفاع عن أسرته وإن وطئت أقدام العدو أرضا يسكنها أناس يزعمون أنهم مسلمون " .

ويقرر " إن أفراد الصفوة مضطرون بحكم ظروف حياتهم ومعاشهم أن يعملوا فى أجهزة الدولة ، ولكنهم حين يعملون بإخلاص فإنهم يشاركون فى تقوية المجتمع الجاهلى الذى يجب إضعافه والقضاء عليه ، ويؤخرون قيام المجتمع المسلم " .

خامسا – المفاصلة :

" يرى أن على المسلم الفاهم أن يفاصل قومه وأقاربه مفاصلة شعورية بحيث يشعر فى نفسه أنه شئ وأن هؤلاء الناس شئ آخر ، ريثما يتم له نقلهم إلى ما هو عليه ، ولا تتم المفاصلة الواقعية التى تظهر آثارها فى العلاقات الإجتماعية المختلفة وغير ذلك إلا بعد أن يتم له ما يريد وتقوم دولة الإسلام ... "

" ... والمفاصلة الواقعية التى تؤثر فى العلاقات الاجتماعية المختلة ومنها الزواج لم يأت وقتها ، ويتعين على عضو نواة الجماعة المسلمة أن يتزوج من مماثلة له فى الفهم إذا وجدت وإلا فله أن يتزوج من غيرها اضطرارا ، ولا يكون فى ذلك ابطال للحكم الشرعى الذى ينهى عن الزواج من كافرة ، وإنما يجوز ذلك قياسا على إباحة الزواج من أهل الكتاب "

سادسا – تبرير التدمير والاغتيال :

وفى مجال تبرير عمليات الاغتيال للمسئولين كان يسوق عبد الفتاح إسماعيل لأعضاء التنظيم واقعة قتل كعب بن الأشرف وهى واقعة مشهورة فى التاريخ الإسلامى . وفى مجال التدمير كان يسوق لهم الآية الكريمة " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين" وهى التى نزلت فى بنى النضير .

ويضيف أن الحكومة قد قامت بنسف كوبرى الفردان سنة ١٩٥٦ عند دخول القوات المعتدية فلا مانع من نسف الكبارى والمنشآت .

سابعا – الدعوة لضرورة قيام التنظيم ووظيفته :

يقول سيد قطب " إنه لا سبيل إلى النجاه إلا عن طريق واحد ، وهو أن تقوم صفوة مختارة تفهم الإسلام على وجهه الصحيح ، سواء أكانت هذه الصفوة من الإخوان أو غيرهم ويبذلون كل جهودهم فى تصحيح عقيدة الناس وتفهيمهم شهادة لا إله إلا الله ... أنه ليس على الأرض كلها ما يمكن أن يطلق عليه اسم "الجماعة المسلمة" بمفهومها الصحيح ، وأن هؤلاء الذين يفهمون الإسلام على النحو الذى يراه – يشكلون النواه الحقيقية لهذه الجماعة المنتظرة "

ثم لا يوضح مهمة هذه الصفوة فى كتابه «معالم فى الطريق» فيقول " إن مهمتنا الأولى هى تغيير واقع هذا المجتمع ... مهمتنا هى تغيير هذا الواقع الجاهلى من أساسه ... وليست مهمتنا أن نصطلح معه ولا أن ندين له بالولاء ، فهو بهذه الصفة – صفة الجاهلية – غير قابل لإن نصطلح معه ثم يفصح عن معنى دعوته بأنها جهاد واستشهاد بقوله " ... إنها الثورة الشاملة على حاكمية البشر فى كل صورها وأشكالها وانظمتها وأوضاعها والتمرد الكامل على كل وضع فى أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور..."

ومضى يقول " أن الانطلاق بالمذهب الإلهى تقوم فى وجهه عقبات مادية من سلطات الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة ... وحين توجد هذه العقبات والمؤثرات المادية فلا بد من إزالتها أولا بالقوة ... "

ثم يقول " أن الجهاد ضرورة لتحقيق ما يدعو اليه ، وأنه يجب تحويل العقيدة إلى واقع نام حى متحرك ، وفى تجمع عضوى حركى ، وفى تنظيم واقعى ... وأن يكون محور التجمع الجديد تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية لمقاومة المجتمع الجاهلى وإزالته من الوجود وإزالته الأنظمة

والسلطات القائمة عليه ... " ثم يردد فى أكثر من موضع من مؤلفه " ضرورة قيام هذا .

* * *

ولكن مناقشة هذه الأفكار تطلبت وقفة قصيرة لما تنطوى عليه من انحراف وبعد عن الفهم السليم للإسلام ، خطورته على أمن المجتمع وسلامه، ظهرت فيما سردته فى الجزء الأول من هذا البحث عن " نشأة التنظيم وحركته " .

أولا – المجتمعات المعاصرة :

يرى سيد قطب أن كل المجتمعات الحالية فى جميع البلاد العربية والإسلامية مجتمعات جاهلية وأشد جاهلية من المجتمع المكى الذى بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنها – فى نظره – تتحاكم إلى الطاغوت ، وتحكم بغير ما أنزل الله ، الأمر الذى جعله يصدر حكمه عليها بالكفر والجاهلية .

هذه الدعوى باطلة لا تتفق والواقع الملموس ، لأن مجتمعنا الذى سماه سيد قطب بالمجتمع الجاهلى يقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ويقر بالتوحيد ، ويؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويعلن فى دستوره أن دين الدولة هو الإسلام ، وأن مقوماته الأساسية الدين والأخلاق والوطنية ، ويعلن فى ميثاقه الوطنى بكل وضوح وثقه عن " إيمانه الذى لا يتزعزع بالله ورسوله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى إلى الإنسانية فى كل زمان ومكان " كما تسجل لجنة الميثاق فى تقريرها فى باب " الدين والمجتمع " ما معناه " وأن الحرص الذى جعل الدستور ينص على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام ، وأن لغتها هى العربية هو الحرص نفسه الذى قدر للدين كل أهميته وقيمته فى الميثاق مما يجعلنا نقرر أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى، وأن اللغة العربية هى لغتها ، من أن هذا الحرص يستوجب النص على ذلك فى الدستور ، بل إننا نسجل أن هذا الحرص نفسه قد جعل

تعليم الدين إجباريا فى المدارس للمسلمين والمسيحيين ، ومن هنا يجب علينا فى مجتمعنا الجديد أن نعنى بكشف حقيقة الدين ، وتجلية جوهر رسالته لكى تكون قيمته الروحية الخالدة أساسا لقيم المجتمع الجديد ، ولكى تكون الشرعية الإسلامية الغراء مصدرا أساسيا للتقنيه " .

وهو بوصفه هذه المجتمعات بالكفر والجاهلية لإنها تتحاكم إلى غير ما أنزل الله ، أهدر القاعدة الشرعية التى تقرر " أنه "لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب إلا من يجحد معلوما من الدين بالضرورة ، وليس فى مجتمعنا من يجحد معلوما من الدين بالضرورة حاكما أو محكوما ، كما أن قوانيننا لا تتعارض مع الشرعية الإسلامية ، فالقانون المدنى قد أخذ معظم نظرياته من الفقه الإسلامى فى العقود والأهلية والالتزام وغير ذلك ، وقوانين أحوالنا الشخصية مأخوذه من أحدث آراء الفقهاء المسلمين ، والعقوبات فى الشريعة الإسلامية حدود وتعازير وللحاكم أن يضع من التعازير ما يراه ملائما لأمن المجتمع وسلامته ، ومن ثم فلا خلاف بين ما ورد فى الشريعة من أحكام وما ورد فى قانون العقوبات .

وحين يقرر سيد قطب أن المجتمعات الجاهلية الحالية - فى نظره - دار حرب بما فى ذلك الشعوب ورءوساء وملوك وحكام البلاد العربية والإسلامية - وإن دار الإسلام هى الحفنه المعتنقة لأفكاره ، فإن هذه الحفنة المعتنقة لأفكاره ، فإن هذا الفهم يبطله المفهوم الشرعى الصحيح فدار الإسلام هى كل البلاد التى يؤمن أهلها بدين الإسلام ويقرون بالتوحيد ، وتظهر فيها الشعائر الإسلامية والولاية العامة فيها للمسلمين بعضهم على بعض ... ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر فى الغزو إذا سمع قوما يؤذنون للصلاة بالامتناع عن قتالهم والعفو عنهم.

ودار الحرب : هى البلاد التى فى حالة حرب بينها وبين المسلمين بسبب غزو أو عدوان قائم .

ودار الأمان : هى البلاد التى بينها وبين المسلمين عهود ومواثيق وسلطة الحكم فيها ليست للمسلمين ، إذ العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين هى السلم لا الحرب لقوله تعالى " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " وقوله تعالى " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله " .

ثانيا – المرحلية :

المقصود بالمرحلية هو التدرج الزمنى فى التشريع ، وبانتهاء الوحى وتمام نزول القرآن فقد اكتمل الإسلام "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا " وقد بلغ الرسول عن ربه ، وأدى الأمانة ، وفصل للأمة الحلال والحرام ، والفرائض والعبادات وكل التكاليف الشرعية وقال فى حجة الوداع بعد أن بين ذلك "ألا هل بلغت اللهم فاشهد " ومن غير المقبول ما يذهب إليه سيد قطب إلى اعتبار الدعوة إلى الإسلام فى مرحلة تشبه المرحلة المكية ، ومن ثم فلا تشتغل جماعة إلا بالدعوة والتبليغ والتجمع عليها كما كان يفعل الرسول بمكه ثم يؤجل ما يتصل بالعهد المدنى من تشريعات وأحكام اقتصادية وسياسية واجتماعية وشرعية ، وإسقاط للتكاليف الشرعية ، ولا يوجد مثل هذا الفكر إلا فى شعوذة بعض الجهال من الصوفية والمنحرفين من الفرق الإسلامية الذين تحللوا من الشرائع وأسقطوا التكاليف .

ثالثا – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من مقومات هذه الأمة التى كانت خير أمة أخرجت للناس " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " .. وتحت مضمون الدعوة إلى الخير يقف المسلم هاديا وبانيا ، يقدم الجهود فى شتى مجالات المجتمع ونواحيه فى صورة أعمال وإنتاج ودراسات . والتاريخ الإسلامى يطالعنا بعلماء قدموا للإنسانية الكثير، وأقاموا جوانب المجتمع الاجتماعية والسياسية والفكرية .

والإسلام يؤكد هذه الحقيقة فى قوله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ... "

وإسقاط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو تأجيله هو إسقاط لأحد التكاليف الشرعية التى أمرنا الله بها .

رابعا – الجهاد والعمل :

إذا انتفت المرحلية فى الدعوة ، وكان المجتمع دار إسلام ترفرف عليه راية الأمر بالمعروف ويحميه النهى عن المنكر ، مجتمع تسوده المحبة والأخوة كيف يرضى هذا المجتمع لنفسه أن يقوى على غاز أو باغ يستذله ويطأ كرامته ؟

وقد رأينا أثناء الاعتداء الإسرائيلى من يقف ممن اعتنقوا أفكار سيد قطب ، وينكرون مجاهدة العدو ويزعم أن رد العدو وقف مع الطواغيت ، وإبدال طاغوت بطاغوت .

إن الإسلام يدعو إلى السلم ويحث عليه " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة " ولكنه يريده سلما عزيزا لا ذل فيه ولا هوان ، فإذا وطأت أرض المسلمين أقدام العدو ، أصبح واجبا على كل مسلم أن يزود عن وطنه لأن فى ذلك إعلاء لكلمة الله " وجاهدوا فى الله حق جهاده " " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " " وجاهدهم به جهادا كبيرا " .

إن الإسلام فى دعوته إلى الجهاد يحفظ للمسلمين كرامتهم وعزتهم وحريتهم ، ومن نكص عن الهدى فقد ضربت عليه الذلة والمسكنة .

كيف تعطل فريضة الجهاد وآيات الكتاب وصريح السنة تدعو إليها بشدة وإلحاح إن الإسلام لا يعرف تفصيلا لهذه الفريضة على مر الدهور والعصور، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ثلاث من أصل الإيمان الكف عن من قال لا إله إلا الله ، ولا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل هذه الأمة الدجال ، ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار " .

إن العمل فرض على كل مسلم والقرآن الكريم يقول " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ... " والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمل بيديه ، ويشارك أصحابه أعمالهم ، والإسلام يحض على الإخلاص فى العمل " إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه " . إن إضعاف المجتمع من شأنه تمكين الأعداء من أرض الوطن .

إن هذه الدعوة إنما هى دعوة إلى التخريب والسلبية والانعزالية ، وهى مناقضة مع دعوى التعاون على الخير " وتعاونوا على البر والتقوى " .

خامسا – المفاصلة :

إن سيد قطب يدعو أتباعه إلى مفاصلة المجتمع، وهى دعوة إلى الانعزالية والحقد المقدس كيف يفاصل المسلم المجتمع وينعزل عنه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول " المؤمن الذى لا يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " ويقول الرسول " خير الناس أنفعهم للناس " ، والإسلام يأمر بالجد وبالعدل بين المسلمين وغير المسلمين " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين " والرسول يقول " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ويبين الإسلام ما على الإنسان لوالديه ولذوى الأرحام فيوصى بالبر بهم والحقد ليس من الخلق الإسلامى الذى يقوم على التسامح والرسول يقول " إياكم والحقد فإن الحقد يصم ويعمى " ويقول أيضا " إياكم والحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين " الحالقه هى البغضاء .

فالحقد ليس من خلق المسلم الذى يؤمن بالله وكلماته ويتسع لكل خلقه .

سادسا – تبرير التدمير والاغتيال

لقد وصل التآمر والتضليل بقادة التنظيم أن يفسروا وقائع التاريخ الإسلامى تفسيرا يتفق مع فكرهم المريض ، فيسوقون فى تبرير الاغتيال واقعة قتل كعب بن الأشرف وفى مجال التدمير والإرهاب ، ما ورد من آيات من حرق نخيل بنى النضير ، وحتى أثبت هذا التضليل سأنقل هاتين الواقعتين كما وردتا فى كتب التاريخ والتفسير .

أ – واقعة قتل كعب بن الأشرف :

كان كعب بن الأشرف يهوديا ، وكان هو وقومه فى حالة حرب معلنة بين المسلمين واليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية "من لى بكعب بن الأشرف فإنه آذى الله وآذى رسوله وآذى المسلمين " فتطوع من على كعبا حتى قتله .

إن قتل كعب بن الأشرف وكان في حالة حرب بين المسلمين واليهود وهو محارب وقتله كان جزءا من خطة جيش المسلمين ، وبأمر من الرسول وهو رئيس الدولة وقائد الجيش ولعدو محارب " إذن فقتل كعب قد صدر من حاكم الدولة الإسلامية الشرعى وهو بهذه الصفة له حق إصداره وحق الطاعة فيه ، ومن صدر الأمر بقتله مهدر الدم لأنه محارب للدولة الإسلامية ولأنه يهودى غير معصوم الدم والمال معاد للدولة محارب لها لا تربطه بها رابطة دين ، ولا يتمتع بحماية بمقتضى عقد ذمة .

أما المسلم فهو معصوم الدم والمال بحكم إسلامه وكذلك غير المسلم من أهل الذمة الذين يعيشون فى كنف الدولة الإسلامية .

ب - " واقعة حرق نخيل بنى النضير "

وردت الآية الكزيمة " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين " وردت هذه الآية فى سورة الحشر ، وقد كان يسميها ابن عباس سورة بنى النضير .

وتتلخص الواقعة فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صادق يهود بنى النضير ، وأعطاهم عهدا وذمة فى ألا يقتلهم ولا يقتلوه ، فنقضوا العهد ، فأنزل الله بهم بأسه ، وأخلاهم الرسول عن المدينة ، فذهبت طائفة منهم إلى أذرعات من الشام وذهبت طائفة إلى خيبر ، وقد حاصرهم الرسول فى خيبر ، وأمر بقطع نخيلهم - اللينة هى النخل - إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم - فبعث بنى قريظة إلى الرسول يقولون أنك تنهى الفساد فما بالك تقطع الأشجار - فأنزل الله الآية " ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين " .

فالواقعة إذن كانت بين المسلمين واليهود ، والمسلمون كانوا فى حالة حرب مع اليهود بعد نقضهم للعهد ، وفى الحرب للمسلمين أن يتخذوا من أساليب الحرب ما من شأنه إرهاب العدو وردعه . ولا يمكن الاستدلال بهذه الآية على تخريب المنشآت العامة الخاصة بالمسلمين ، لأنها أحوال المسلمين التى لا يجوز الاعتداء عليها .

إن الإسلام يحرم الإرهاب والاغتيال وترويع الناس ، والإخلال بأمن المجتمع بأية صورة من الصور مهما تكن النوايا والبواعث .

سابعا – التنظيم ووظيفته :

يذهب سيد قطب إلى أنه لا سبيل للنجاه إلا عن طريق واحد هو قيام صفوة تفهم الإسلام بالمفاهيم التى عرفها وتشكل النواه الحقيقية للجماعة المسلمة ، وأنه لا يوجد على الأرض كلها ما يمكن أن يطلق عليه اسم "الجماعة المسلمة" سوى هذه الصفوة التى تعتنق أفكاره .

وحين يذهب سيد قطب هذا الفهم ويعتبر جماعته هى الجماعة المسلمة ، فإنه ينحرف بالمفهوم الشرعى السليم لمعنى الجماعة المسلمة . فما مفهوم الجماعة المسلمة ؟

المفهوم الأول : معناه مجموع الواجبات التى جمع عليها المسلمون وعلمت من الدين بالضرورة ويكون الخروج على جماعة المسلمين فى هذه الحالة كفرا لأنه إنكار لما علم من الدين بالضرورة مصداقا لقول الرسول صلى الله علي وسلم " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسوله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

المفهوم الثانى : معناه الدولة وهو اجتماع المسلمين على إمام منهم يدبر شئونهم ويسوى أمرهم ، وقد وردت فى ذلك نصوص كثيرة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم " من أتاكم وأمركم جميعا يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان "

وقوله " من خرج على الجماعة ونزع يدا من طاعة مات ميته جاهلية "

والخروج على جماعة المسلمين بهذا المعنى قد نهى عنه الإسلام وسمى الفقهاء الخارجين "نياة" . لما فى ذلك من إثارة الفتنة وتمزق حق المسلمين .

وبناء على ما تقدم تكون الصفوة المعتنقة لأفكار سيد قطب ليست هى الجماعة المسلمة بمعناها العقائدى أو بمفهومها كدولة .

ثم يذهب سيد قطب بعد ذلك إلى بيان وظيفة التنظيم ، فيفصح عن أن مهمته الأولى هى تغيير هذا المجتمع والثورة الشاملة على سلطات الدولة ونظام المجتمع ، وأوضاع البيئة ، وإزالتها أولا بالقوة ...

بعد أن انتهينا إلى أن تنظيم سيد قطب ليس هو الجماعة المسلمة ، فإنه إن خرج عن سلطة الدولة ، وانفصل عن سائر الأمة ، وامتنع عن طاعة الإمام أى الحاكم الشرعى فى الدولة ، ونازعه بالقوة سلطته واتخذ له سلاحا وشوكة ، أخذ حكم البغاة فما هو حكم البغاة ؟

يدعوهم الإمام وهو رئيس الدولة إلى الرجوع للجماعة ، ولزوم الطاعة ، وذلك بعد أن يزيل الشبهة التى تأولوا الخروج بسببها ، فإذا أصروا على استمرار الخروج ، والإمتناع عن الطاعة ، ومنازعة سلطة الدولة بالقوة المسلحة ، وجب على الإمام قتالهم كما جاء فى قوله تعالى " فقاتلوا التى تبغى حتى تفيئ إلى أمر الله " وذلك حتى تمتنع الفتنة إما برجوع البغاة إلى الجماعة ولزوم الطاعة ، وإما بإنهزامهم والقضاء على شوكتهم .

وبعد إنتهاء حالة البغى ، إن شاء رئيس الدولة عفا عنهم إن رأى فى ذلك مصلحة عامة ، وإن شاء عزرهم بالعقوبة التى يراها عادلة جزاء لهم على بغيهم ، وردعا لغيرهم حتى تمتنع الفتنة ... ويرى الإمام ابن تيمية فى كتابه "منهاج السلف" أن هذه العقوبة قد تصل إلى القتل بالنسبة لمدبرى الفتنة .

والإسلام لا يجيز الخروج على الإمام المختار بالإجماع أو بالأغلبية المطلقة لأى سبب من الأسباب إلا أن يستعلن الإمام – أى رئيس الدولة – بالكفر الصريح الذى لا شك فيه متحديا بذلك دين الدولة كما جاء فى الحديث الشريف " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وعلى إيثاره علينا ، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان " .

* * *

طبيعة شخصية أفراد التنظيم

ومن الضرورى الآن أن أقف وقفة قصيرة لأبين طبيعة شخصية أفراد هذا التنظيم ، فلعل فى ذلك ما يعين على رسم سياسة العلاج الصحيحة لهؤلاء الأفراد كى يعودوا إلى المجتمع مواطنين صالحين .

أولا – التجربة والسن:

لاحظت أن معظم الشباب الذين انضموا إلى هذا التنظيم لم يكن لهم سابقة انتماء للجماعة المنحلة ، وإنما كانوا من الشباب صغير السن ، قليلى التجربة ، المتحمس فى العمل للدين المندفع بعاطفة دون تحكيم لعقله .

وعلى سبيل المثال فإن حوالى ٥٠٪ من أعضاء التنظيم الذين حوكموا فى القضية الأولى مع سيد قطب أعمارهم أقل من ٢٥ عاما ، بينما أن حوالى ٨٠٪ منهم كانت أعمارهم أقل من ٣٠ سنة . مما يدل على أن الشباب من هذا الصنف تربة خصبة لتلقى هذه الأفكار وتقبلها والعمل لها .

ثانيا – ضحالة المستوى الثقافى العام :

كان معظم هؤلاء الشباب من خريجى الجامعات ، ونسبة كبيرة منهم من أوائل دفعاتهم النابهين فى داراستهم وأعمالهم ، غير أنهم كانت تنقصهم الثقافة العامة والإدراك السليم لطبيعة الأمور وتقدير المسئولية ، وذوبان أشخاصهم فى أشخاص القائمين على أمور هذا التنظيم بشكل لم يدع لهم مجالا للاستقلال الفكرى ، والتصرف الفردى الحر الأمر الذى ساعد على استغلالهم والتأثير عليهم .

ثالثا – عدم الإلمام بالأصول الشرعية :

لم يتوفر لهؤلاء الإلمام الكافى بالأصول الشرعية السليمة التى تمكنهم من ضبط فهمهم وتصرفاتهم بناء على هذه الأصول حتى لا تكون ضارة بمصلحة الدولة واستقرار أمنها والعمل فى المجال الإسلامى بفقه صحيح بعيد عن الاضطراب والانحراف .

رابعا – الانعزالية ومفاصلة المجتمع :

لوحظ أن هذا الفكر قد أدى بهؤلاء الشباب إلى طبيعة انعزالية انطوى بها الأفراد عن المجتمع واقتصروا فى نشاطهم وعلاقاتهم على دائرة مغلقة تتكون

من أفرادهم ولا تتجاوزهم إلى غيرهم من أفراد المجتمع ومجالات النشاط المختلفة فيه .

خامسا – السمع والطاعة :

كان يربط هؤلاءالأفراد بالتنظيم عنصر السمع والطاعة لقيادة التنظيم والقائمين على معنى مقدس لا يمكن الفرد إزاءه إلا الاستجابة الكاملة مهما كان الأمر الصادر إليه فى غير تردد أو تفكير بزعم فاسد أن ذلك هو مقتضى الشرع إلى حد توهم القداسة لهؤلاء الأشخاص الذين يصدرون اليهم هذه الأوامر والتعليمات .

سادسا – التضليل باسم الدين :

اندفع هؤلاء الأفراد فى العمل تحت اسم الدين والجهاد فى سبيل الله ، ثم تغير الحال حتى سلكت بهم قيادة التنظيم مسالك التضليل والخداع بهدف التخريب والإغتيال الأمر الذى لم يكن واضحا لهم عند الدعوة إلى الإنخراط فى التنظيم فقد لوحظ من خطوات العمل أنها انتهت فجأة من مرحلة التربية إلى مرحلة التنفيذ ومواجهة الدولة بالسلاح .

سابعا – سطحية الفكر وانحراف العمل :

كانت هذه التجمعات عاطفية سطحية النظر أكثر منها فكرية ذات نظر عميق ومنهج واضح ، لم يكن لمعظمهم رصيد من الدراسة الموضوعية حول الإسلام ولا مشكلات العصر المختلفة الأمر الذى جعلهم يعتنقون هذا الفكر المنحرف دون أصالة من الفقه والشرع فى مجال الفكر والعمل معا .

ثامنا – الاضطراب فى الفهم لخط الثورة :

كان أغلب هؤلاء الشباب مضطرب الفكر إزاء خط الثورة ومنجزاتها الإصلاحية سواء فى الناحية السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية وخاصة منجزاتها فى الحقل الإسلامى .

فإن البعض منهم كان يرى فى خط الثورة اتجاها نحو الشيوعية . بينما كان يرى البعض الآخر اتجاها نحو أمريكا والغرب ، وقد ساعد على هذا الإضطراب عدم قيام أجهزة الدعاية والإعلام فى الدولة بالتوضيح الكافى لهذا الخط ، والتدقيق على هذه المنجزات ، كما ساعد أيضا على ذلك عدم استيعاب الدولة واجهزتها لنشاط هذا الشباب واهتماماته الدينية داخل المنظمات الشعبية ، والمعاهد التعليمية ، وغير ذلك من الاهتمامات فى مختلف المجالات .

تاسعا – اختلاف درجة الاقتناع :

يلاحظ من واقع الإتصال بهؤلاء الأفراد أثناء التحقيقات أنهم لم يكونوا على درجة واحدة من الاقتناع بفكر التنظيم والعمل له ، بل إنهم يختلفون فى هذا المجال – وبناء على هذا الإختلاف يمكن تقسيمها إلى ثلاث فرق :

الفريق الأول : كان يعتنق فعلا الفكر الذى ينادى به التنظيم ، ويعمل له من وحى ذاته .

الفريق الثانى : لم يكن على مستوى الفريق السابق من الإقتناع بل كان ضحية حماسة ، ورغبته الجامحة فى العمل المطلق للدين ، بل وأكثر من ذلك كان من بينهم من وجد نفسه ضحية موقف أحمق لم يكن يتعمده أو يرتضيه، وكثيرا ما كان ذلك يحدث فى صورة من الإحراج والتوريط ، وقد ثبت من التحقيقات أنه كان لكل من هؤلاء الأفراد دوره الخاص الذى يختلف عن الآخرين من ناحية العمل والتنفيذ .

الفريق الثالث : لم يكن له علاقة إطلاقا بالفكر أو التنظيم ، وإنما ربط بينهم وبين التنظيم مجرد روابط شخصية ترجع إلى الزمالة أو الصداقة أو القرابة.